

S. KURI, s.j.

*Monumenta Proximi-Orientis. I. Palestine-
Liban-Syrie- Mésopotamie (1523-1583).*

فلسطين - لبنان - سورية - بين النهرين (١٥٢٣ - ١٥٨٣)

تحتقيق الأب سامي خوري اليسوعي

صادر عن معهد التاريخ للربانية اليسوعية، روما، ١٩٨٩

من البديهي القول إن لا كتابة للتاريخ دون العودة إلى الأصول، ومن المعروف أيضًا إن لا إفادة من تلك الأصول والمستندات والوثائق التاريخية في حال إبقائها دفيئة في الخزائن أو محفوظة بعيدة عن متناول المفكرين والباحثين. فالتاريخ المكتوب يبقى ميتورًا أو ناقصًا لجهة تحديد خفايا الوقائع والمنازعات في حال عدم إصدار هذه الأصول. لذلك قامت منذ بداية هذا القرن عدة محاولات من أجل جمع هذه الأصول ونشرها، أبرزها وأهمها تلك التي قام بها الأخوان فيليب وفريد الخازن عام ١٩١٠ تحت عنوان «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان»، ومن ثم المؤرخ الدكتور عادل إسمايل تحت عنوان «مستندات دبلوماسية وفنصليّة»، ظهر منها حتى الآن ٣٥ مجلدًا يختص بالأرشفة الفرنسيّة التعلّق بلبنان، بالإضافة إلى الوثائق والمستندات التي تمّ نشرها في الصحف والمجلّات، وبعض المؤلفات الأخرى.

ولكن مع التأكيد على الطابع الإيجابي لهذا الجهد من أجل مساعدة المفكرين والباحثين، فمن المعروف أيضًا أننا ما زلنا في بداية الطريق في هذا المضمار ويقتضي بذل جهود ضخمة لإصدار الأرشفة التاريخيّة اللبنانيّة - خاصة عندما نقرأ بقلم الأب بولس صفيّر، حافظ المكتبة البطريركيّة المارونيّة في بكركي «أنّ جميع الوثائق والمستندات القديمة المحفوظة في الأرشفة البطريركيّة

في بكركي... يقارب المليون وثيقة»^(١).

وإذا ما تصوّرنا الجهد الذي يُفترض القيام به من أجل تذليل العقبات لنشر الوثائق القديمة من قراءة وتحليل وتعليق وشرح، يتأكد لنا العمل الذي قام به الأب سامي خوري في إصدار الجزء الأول من مؤلفه الخاص بأرشفة الرهبانية اليسوعية فيما يعود للشرق الأدنى (فلسطين، لبنان، سوريا وما بين النهرين) خلال الفترة الممتدة بين ١٥٢٣ و١٥٨٣.

يحتوي هذا المجلد البالغ ٦٦٢ صفحة مقدّمة عامة مع لائحة بالمراجع في ١٣٨ صفحة - بالإضافة إلى ١٦٦ وثيقة وفهارس في ٤٨٣ صفحة. والقسم الأكبر من هذه الوثائق منشورة بلغتها الإيطالية الأصلية وقد قام الأب سامي خوري بوصف سريع لكل رسالة وتقديم لمحة موجزة لكل فقرة في مستهل كل رسالة مع التعليق والشرح اللازم لتوضيح ظروف توجيه هذه الرسائل. فمن الطبيعي أن يكون هذا الأمر قد استفد جهداً كبيراً خاصّة وأن هذه المرحلة المشمولة بالرسائل هي من أدق المراحل التي مرّت بها الطائفة المارونية وبعض الطوائف الأخرى في المشرق العربيّ.

ومن أهمّ مميّزات هذه الرسائل إبراز وضعيّة الطائفة المارونية في خضم تلك المرحلة التجديديّة المهمّة، أنّ في موضوع الطقوس أو التنظيم الكنسيّ أو التربية. فالوثائق المنشورة تثبت الاستمرارية المنهجية لعمل البطاركة من أجل تنظيم الطائفة المارونية وفقاً لتوجيهات الكرسيّ الرسوليّ وتقرير مفاهيم التربية في المجتمع المارونيّ. فهذا المؤلف يبيّن، للمرّة الأولى واستناداً إلى نتائج منهجيّة للوثائق، تطوّر الحياة الفكرية والدينية واليومية في مجتمع شرق أوسطيّ، بحيث إنّ دقّة عمل الأب سامي خوري في إصدار هذه الوثائق قد أنسح في المجال، للباحثين والمفكرين، لتابعة تطوّر هذا الحوار بين الطائفة المارونية القاطنة في جبال شمال لبنان والكرسيّ الرسوليّ والرهبانية اليسوعية الممتلئة بالأباء إليانو وراجيو ورونو.

(١) الأب بولس صغير: أرشفة البطريركية المارونية - مجلة «دراسات»، العددان ١٣ - ١٤، ١٩٨٤، صفحة ٢١ وصاعداً.

إنَّ المرحلة التي «تغطّيها» ما نشره الأب سامي خوري من وثائق كانت غامضة نسبيًا حتّى اليوم، وقد يلقي هذا المجلّد الأوّل أضواءً جديدةً على تلك الحقبة التي طالما تكلم عنها العديدون دون الاطّلاع على مختلف حقايا الأمور والأوضاع. واللافت إلى الانتباه هي المشاقّ التي كان يتكبّدها هؤلاء الأشخاص المتقلّين بين الأمصار حيث كان عليهم مراعاة الظروف العائدة إلى جور الحكام ومخاطر السفر والبحار وصعوبة التقلّ والأمراض، دون أن تقوم هذه الصعوبات عقبة دون حيويّة العمل الذي قام به الآباء المرسلون.

ويتبيّن من مراجعة الوثائق المنشورة الاهتمام البالغ والعاطفي لهؤلاء المرسلين بقضايا الطوائف المسيحيّة، الدينيّة منها والحياتيّة، مع عرض للمشاكل المطروحة وتجاوب السلطات الزمّية والدينيّة مع الخطوات التجديديّة في المجتمع المارونيّ.

ولا بدّ هنا من الإشارة إلى الجدل الحاصل بين المؤرّخين في شأن بعثة الأب إليانو إلى لبنان - إذ يعتبر البعض إنَّ هذا الأب قام بحرق قسم من التراث الدينيّ والتاريخيّ المارونيّ فحرم الأجيال التالية من تلك المراجع الهامّة. إنَّ هذا الجدل يتجاوز حدود تعليقتنا، ولكن لا شكّ في أنّ مؤلّف الأب سامي خوري يلقي أضواءً جديدةً في موضوع بعض المؤلّفات التي درسها إليانو واعتبرها مخالفة لتعاليم الدين الكاثوليكيّ، فيستخلص، بشهادة البطريرك الدويبيّ والرسائل التبادلة المنشورة، أنّ هذه المؤلّفات التي درسها إليانو والبالغ عددها ٢٢ مؤلّفًا والتي كانت بحوزة الموارنة، لا تعني أنّ هؤلاء الآخرين كانوا يعملون خا. وقد أورد البطريرك الدويبيّ الذي أطلع عن كذب على دفتر الأب إليانو، الذي كان يسجّل فيه أفكاره، أنّ هذا الأب ولو يعتمد على حقايتة هذه التهمات، فما همل عن انتشارها ولا عن إيضاح سفره لجبل لبنان وتعبه مع طائفة الموارنة لينتدّمهم من هذه الرزايا ويقدمهم إلى طاعة الكنيسة. فيتحقّق على رأي كلّ ذي حكمته أنّ جران باطستا ما كتب هذا الدفتر إلّا ليستمطف خاطر البابا غريغوريوس حتّى يقيم لهم مدرسة تتأدّب بها أولادهم^(١)...

(١) الأب سامي خوري: المرجع للذكور صفحة ٣٨٧.

يحمل هذا المؤلف في طياته تساؤلات أكثر مما هو يعبر عن أجوبة. وهذا هو القدر المفروض عند إصدار الوثائق والمستندات الأولية لدراسة مادة التاريخ التي تشكل فرضية علمية تتميز بالدقة والأمانة. وهذه هي الوسيلة التي اعتمدها الأب سامي خوري في مؤلفاته وأبحاثه التي طالما رغب، من خلالها، تقديم المادة الأولية للأبحاث التاريخية والدينية لكي يستفيد بحانة اليوم والغد من حقائق الماضي لتعزيز رؤيتهم ومنهجيتهم التاريخية.

هيام ملاط

خلق الإنسان والعالم في نصوص من الشرق الأدنى القديم

تأليف مجموعة من الباحثين

نقله إلى العربية الأب سليم دكاش، اليسوعي

سلسلة: دراسات في الكتاب المقدس، رقم ٣٠، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٠.

٨٤ صفحة

في هذا الكتاب نصوص مختارة من تراث الشرق الأدنى القديم (بلاد ما بين النهرين ومصر وأوغاريت) تتناول موضوع خلق الإنسان والعالم. والهدف من نشر هذه النصوص هو المساهمة في فهم الفصول الأولى من الكتاب المقدس (سفر التكوين) والمقارنة بالتالي بين نصوص الكتاب المقدس والنصوص السابقة من تراثات الشرق الأدنى القديم.

فقبل أن يصيغ الشعب العبراني، في ضوء إيمانه الخاص، تصوّره للبدائيات، اجتهدت ثقافات أخرى في الإجابة عن أسئلة مهّمة طرحها الإنسان منذ القديم من خلال الإطار الأدبي للأسطورة أو الرواية: من هم البشر؟ ما هي علاقتهم بالألهة؟ كيف مهم واقع العمل، والثبات الزوجي، والتوالد والعبادة؟ ما هو نظام العالم؟ من يشرف على الكفنة في هذا العالم ولكن تخضع؟ كيف نفهم الكوارث التي تحلّ بالبشرية، كخفاف ونحافة والأمراض والفيضانات؟ قبل الكتاب المقدس، هناك سمي ديني قديم حاول الإجابة عن هذه الأسئلة.

والرغبة في فهم الذات، من خلال العودة إلى الأصل، ليست مرغاً من انصيابات: فالقضية تتعلق بمعنى الوجود الإنساني وعلاقته بالألوهة والرحاء. والعودة إلى الأصول تتم في ثلاث محطّات:

- المحطة الأولى وهي الأهم (نظراً إلى تأثيرها في النصوص الكتابية). هي نصوص بلاد ما بين النهرين، وقد نشر منها في هذا الكتاب اثنا عشر نصّاً تتناول موضوع الخلق وأصل الكون وتكوين العالم وتكوين الإنسان.

- المحطة الثانية هي نصوص خلق العالم في التراث الديني المصري. وقد نشر منها في هذا الكتاب ستة نصوص.

- والمحطة الثالثة هي نصوص متعلقة بولادة العالم والألهة في نصوص أوغاريت.

من أنت أيها الكاهن؟

تأليف الخوري يوحنا الحلو

سلسلة «الحياة الروحية»، دار للشرق، بيروت، ١٩٩١، ٩٥ صفحة

كتاب الخوري يوحنا الحلو في هوية الكاهن وأحواله اليوم، يستند إلى اختبار شخصي عميق لمهنة الكاهن ودوره وعمله في الكنيسة والمجتمع. كما أنه يقوم على قاعدة فكرية لاهوتية روحية واسعة لها أصولها في الكتاب المقدس وآباء الكنيسة وتعليم المجامع والكنيسة. وهذا كله خطه الكاتب بقلم تعبيرى، يصوغ الفكرة تلو الفكرة بالمنطق السليم، فنصل إلى القارئ جملة تلو الجملة سهلة واضحة قريبة من القلب والعقل معاً.

ويقوم كتاب الخوري يوحنا الحلو حل معادلة جوهرية: لا بد أن يتأصل الكهنوت في نداء الله واختياره، وهذا يلقي مع رغبة أكيدة، عند طالب الكهنوت، في خدمة الكنيسة وعبادة الله والآخرين. يشدّد الكاتب في الصفحات الأولى على أن الدعوة الكهنوتية هي اختيار إلهي حرّ، وفي الوقت عينه، هي جواب إنساني حرّ على تلك الدعوة، وكلّ تدخل بشري يخل هذا الصعيد يعرقل المسيرة ويشوّه غايتها. وإذا نشأت الدعوة في العائلة والمدرسة والرعية، فلا بد أن تظهر هذه الدعوة في علامات مرتبة، هي عبادة الله والإصغاء إليه وإلى كلمته وكلمة الكنيسة، وهي أيضاً الصلاة والأمانة. أما وظيفة الكاهن (أو نشاطه السليم) فلا بد أن يتجسّد في الرعظ والإرشاد والتعليم والإصغاء إلى المؤمنين في منبر التوبة (وهو مدرسة روحية بذاتها)، وكذلك في أعمال المحبة، التي هي مشاركة في عمل النداء والخلاص. ولا بد أيضاً لمن يريد المحبة عنواناً لحياته وممارسة لها أن يجيأ قفراً مثل المعلم، ومبتلياً إذ يورّع عاطفته على الجميع، وصبوراً قنوعاً.

وعندما يتحدث الكاتب عن معائر الكهنوت فهو ينطلق من الواقع اللبناني الكنسي، حيث يتعرّض الكاهن لشتى الاختبارات والتجارب، فمن المهم أن يعي الإنسان هذه المشاكل وأن يطرحها بجرأة، وهي حبّ المال، والتحرّق إلى المناصب الكنسية، والنسب، والعلنة المرتبة، والفشل، والعزلة، والمنافسة على المكاسب، والحمول حل أنواعه. إنها صفحات تدعو الكاهن إلى وقفة مع الذات، يتأمل فيها أين أصبح مع دعوته وكيف عليه أن يعيشها في حياة الإصغاء إلى كلمة الله، يؤمن بهذه الكلمة ويؤمن بتبن قائلها، أي يؤمن بشخص يسوع المسيح الذي اختاره خادماً له.

إن الكاهن في الحياة الاجتماعية والكنسية هو في صميم تناقض بين مؤيد له ومعارض لدوره. كتاب الخوري يوحنا الحلو لا يقودنا إلى المثاليات والأفكار المجردة، بل هو يقودنا إلى الكاهن، في واقعه اليوم: الكاهن ليس نوعاً من «لزقة» في الكنيسة، بل هو من المسيح وفي

المسيح ولا بدّ له أن يمينا في نضال منخرّ لبشيد للمسيح وكنيسة في عالم المتغيرات والصعوبات ولبحقيق رسالة الخلاص التي عهد بها إليه .

الرهانية اليسوعية: القوانين التأسيسية

وضعها القديس إغناطيوس دي لوبولا

صدر عن «دار المشرق» (كانون الأوّل ١٩٩٠، في ٣١٢ ص) كتاب «القوانين التأسيسية»، وضعها القديس إغناطيوس دي لوبولا، وذلك لمناسبة مرور ٤٥٠ سنة على إنشاء الرهبانية اليسوعية عام ١٥٥٠، و٥٠٠ سنة على ولادة إغناطيوس دي لوبولا عام ١٤٩١. والواقع أنّ الكثير يقال عن اليسوعيين، من الصحيح ومنه الخطأ، من للتقريب ومنه للذمّ، فهذا الكتاب، «القوانين التأسيسية»، يرسم صورة أولى وأساسية للرهانية اليسوعية، ما تشكّله ضمن الكنيسة وما تحقّقه من أجل الكنيسة والإنسان في مختلف البلدان. وهذه القوانين هي دستور لأوّل رهبانية رسولية عرفتها المسيحية، فُتشرّع في موضوع الرسالة والإرسال وعلاقة ذلك بالبابا، وفي موضوع الإدارة ورأس الرهبانية، الذي هو رئيسها العامّ للتحبب رئيساً حتى وفاته أو استقالته. وعلى مثال القوانين التأسيسية الأخرى، فهي تضع القواعد لقبول المتدربين، إلا أنّها تتوقّف طويلاً حول التثنية الرهبانية كالمحافظة على الذين في الابتداء وتقدّمهم وكذلك إدارة المعاهد والمدارس والجامعات. وهناك أيضاً تلك الفصول الشهيرة التي كتبها القديس إغناطيوس في ما يختص بالحياة الرهبانية الشخصية.

فالقوانين الرهبانية هذه هي بناء متكامل، له طابعه القانوني الواضح، إلا أنّه يتميز، فيما يتميز به، بأنّه يستند إلى روحانية خاصة ضمن الكنيسة، هي روحانية الصلاة والتأمل والمشاهدة من ضمن العمل الرسوليّ نفسه، وروحانية التمييز فيما يجب القيام به من أجل خلاص النفوس والخير الأشمل والأعظم، لمجد الله الأعظم.

والترجمة العربية هذه هي عن الفرنسية وقد قام بها صاحب الترجمات العديدة الأب صبحي حموي اليسوعي، وهذه الترجمة قولت كلمة كلمة بالأصل الإسباني كما وضعه القديس إغناطيوس، قام بذلك الأب سامي خوري اليسوعي، كما استعين بالترجمة اللاتينية، وهي النصّ الكنسيّ الرسميّ، لتوضيح ما فيه شيء من الغموض.

ويقول الأب بولس سركيس، رئيس إقليم الشرق الأدنى للرهانية اليسوعية في تقديمه للكتاب: «في العالم العربيّ فروع لجمعيّات رهبانية كثيرة تستوحي روحانيّتها ونمط حياتها مما وضعه القديس إغناطيوس، كما أنّ هناك بعض العلماء، من مؤرّخين ورجال قانون وفلاسفة تأثروا هم أيضاً بهذه الروحانية، فلا شك أنّهم جميعاً يحرصون على التعمق فيها».